ردمد ISSN 0000–0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 –0000

طبيعة الكتابة التاريخية عند أبو راس الناصري من خلال مؤلفيه: " زهر الشماريخ في علم التاريخ" و"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"

The nature of the historical writing of Abu Ras al-Nasseri through its authors Aj-aib El-sfar wa lataif Al-akhbar" and "Z'ahr al'chmrikh fi i'lm al' trikh "

د. فاطمة الزهراء رحماني
جامعة أحمد زبانة غليزان
fatimazohra.rahmani@univ-relizane.dz

تاريخ استقبال المقال: 2024/01/12 تاريخ القبول: 2024/05/15 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

يعدّ أبو راس الناصري من بين أشهر العلماء الجزائريين الذين نبغوا في القرن 18م نظرا لوفرة كتاباته وتنوع مجالاتها، إذ جمع فيها بين التاريخ والجغرافيا والتراجم والادب وغيرها. لكن المتمعن في طبيعة تلك الكتابات يلاحظ مدى عناية أبو راس بالتاريخ أكثر من غيره، حيث وصلت عدد مؤلفاته في هذا المجال حوالي 34 مخطوطا لعل أبرزها: "زهر الشماريخ في علم التاريخ" و"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار". فقد أرّخ فيهما للجزائر خلال العهد العثماني، وللعالم العربي الإسلامي بما فيه المنطقة المغاربية والمنطقة المشرقية في الفترة العثمانية، مستندا في ذلك على منهجية معينة ودقيقة ميّزته عن غيره من العلماء .

وبناء على ذلك؛ جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على منهج أبو راس الناصري في كتابة التاريخ من خلال التركيز على مؤلفيه "زهر الشماريخ في علم التاريخ" و"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، ومحاولة الوقوف عند طريقة وأسلوبه في تدوين الأحداث التاريخية التي عاصرها؛ بل وحتى التي لم يعايشها بنفسه وإنّما سمع عنها.

الكلمات المفتاحية: أبو راس الناصري، الكتابة التاريخية، العلماء الجزائريين، القرن 18م.

Abstract:

Abu Ras al-Nasseri is among the most famous Algerian scholars who emerged in the 18th century due to the abundance of his writings and the diversity of their fields, combining history, geography, translation, literature and others. But the caretaker of the nature of these writings notes the extent of Abu Ras' interest in history more than others, as the number of his books in this field reached about 34 manuscripts, perhaps most notably": Z'ahr al'chmrikh fi i'lm al' trikh" ; "Ajaib Elsfar wa lataif Alakhbar". He chronicled Algeria during the Ottoman era, and the Arab-Islamic world, including the Maghreb and Oriental regions of the Ottoman period, on the basis of a specific and precise methodology that distinguished him from other scholars.

Accordingly; This study highlighted Abu Ras al-Nasseri's approach to history writing by focusing on his previous authors and trying to discern his way of codifying historical events; Even those he did not live with himself and heard about.

Keywords: Abu Ras al-Nasseri , Historical writing, Algerian scholars, 18th century.

المقدمة:

ارتبط الاهتمام بالتاريخ في الجزائر خلال العهد العثماني بالنصف الثاني من القرن 18م، وذلك بعد أن جنّدت السلطة الحاكمة العلماء لصياغة مشروعية تبرر نفوذها على المجتمع، فظهر على إثر ذلك عدد من المؤرخين أبرزهم أبو راس الناصري الذي حمل على عاتقه مهمة الدّفاع عن السياسة القائمة، ليس طمعا في التقرب من السلطة والحصول على عطائها؛ بل من موقفه النابع من السياسة الشرعية التي يتبناها الفقهاء السلفيون.

ومن جهة أخرى؛ حرص أبو راس على الدّفاع عن علم التاريخ في الوقت الذي عرف فيه _ التاريخ _ إهمالا وتهميشا من قبل العديد من العلماء الجزائريين في الفترة الممتدة ما بين القرن 16 ومطلع القرن 18م، واقتصارهم على العلوم الدينية والفقهية كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والعلوم الأدبية كالنحو والصرف والبيان والعروض؛ مؤكدا على ضرورة إيجاد توافق بين علم التاريخ وهذه العلوم .

زيادة على ذلك؛ حزّ في نفس أبو راس تسجيل كلّ الأحداث التاريخية البارزة التي عايشها وتفاعل معها، لاسيما التي شهدتها الجزائر عموما والغرب الجزائري على وجه الخصوص أواخر القرن 18م، مستهدفا بذلك تخليد ذكرى تاريخية عن الجزائر تحفظ في ذاكرة أبنائها. ولم يكتف عند هذا الحد؛ بل وربط أحداث الجزائر بالوقائع التاريخية التي شهدها العالم الإسلامي بما فيه المنطقة المغاربية والمشرقية، معتبرا إياها جزء لا يتجزأ من تاريخ ماضي الجزائر وحاضره .

وانطلاقا من ذلك؛ خلّف أبو راس الناصري وراءه العديد من الكتابات التاريخية والمتنوعة التي عبّر من خلالها على مواقفه وآرائه تلك، وسجلّ فيها كل الوقائع التاريخية التي عايشها وعاصرها بنفسه، ويأتي كتاب "زهر الشماريخ في علم التاريخ" وكتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" في مقدمة تلك الكتب التي أرّخ فيها للجزائر في الفترة العثمانية وللعالم العربي الإسلامي _ المغاربي، معتمدا في ذلك على مجموعة من الأدوات والوسائل المنهجية للكتابة التاريخية. الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل:

ماهي طبيعة المنهج الذي وظفه أبو راس الناصري في الكتابة التاريخية؟ وإلى أي مدى ساهم في التأريخ للجزائر خلال العهد العثماني وللعالم الاسلامي؟

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

أولا: التعريف بشخصية أبوراس الناصري

1. مولده ونشأته:

هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن الناصر الراشدي المعسكري، ولد سنة 1150هـ/ 1737م بنواحي معسكر بالغرب الجزائري وتوفي سنة 1823م. وحسب ما أشار إليه أبو راس في كتابه "فتح الإله ومنته" أنّ نسبه متصل "إلى عمرو بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صل الله عليه وسلم .[1]"

عاش أبو راس في ظل أسرة ميسورة الحال وقد أشار إلى ذلك بقوله: "...وقد استمررت عشر سنين عريانا لا لباس لي إلا أخرق كالعدم، وما لبست نعلا إلى أن قرب صومي، ولما قدرت على السعي صرت أطلب من البيوت ثم أبيع وأكسى ..." [2]. لكنّه في المقابل؛ نشأ وترعرع في بيئة علمية ودينية، حيث كان أبوه من القراء الماهرين، وجده أعجوبة الزمان في الولاية والصلاح، وجد أبيه يضرب به المثل في معرفة الفقه والفتوى ولاسيما علم الفرائض وأمه زولة فيقول عنها أنها كانت كربيعة العدوية علما وورعا .[3]

توفي أبواه وهو صغير، فكفله أخوه الاكبر ابن عمر الذي أخذه معه إلى نواحي تلمسان حيث تعلم القرآن وحفظه على ظهر القلب، ولما حفظ القرآن وأتقن رواياته، انتقل إلى معسكر لدراسة الفقه واللغة والحديث على يد علمائها، ومنها رحل إلى مدينة مازونة وسنه لا يتجاوز 15 سنة، فدرس على يد فقهائها وشيوخها وعلمائها .[4]

2. ثقافته:

عرّف أبو راس الناصري بثقافة موسوعية ومتنوعة اكتسبها من خلال رحلاته العلمية _ الدينية، والشيوخ الذين تتلمذ ودرس على يدهم، بالإضافة إلى الوظائف والمناصب التي تولاها طيلة مسيرة حياته. حتى لقب بالحافظ لضلوعه في شتى علوم عصره ولقوة ذاكرته إذ كان يستحضر _ متى شاء_ دروسه ومسائله كأن العلوم كتبت بين عينيه .[5]

انتقل أبو راس إلى العديد من الأقطار العربية في المشرق، زار من خلالها مصر والشام وحج مرتين؛ الأولى كانت سنة 1790م والثانية سنة 1812م[6]، وتعرّف على أوضاع تلك الأقاليم واتصل بعلمائها. فكانت تلك الرحلات فرصة ثمينة للمناظرة والتفاوض حول المسائل العلمية والقضايا الدينية في تلك الأقاليم. أضف إلى ذلك؛ أنّها مكنّت أبو راس من الأخذ عن كبار الشيوخ والعلماء في القاهرة والإسكندرية ومكة والمدينة المنورة مختلف العلوم الفقهية والعلمية من أمثال الشيخ محمد المرتضى الزبيدي (ت 1790م) في مصر الذي قرأ عنه المذهب الحنفي، والشيخ عبد الله الشرقاوي (ت 1812م) شيخ جامع الأزهر في القاهرة الذي درس عنه

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

الفقه الشافعي. بالإضافة إلى الشيخ عبد الغني مفتي الشافعية بمكة المكرمة، كما تلقى الفقه الحنبلي في الحجاز على يد الشيخ عثمان الحنبلي.

ولم تقتصر رحلات أبو راس على المشرق فحسب؛ بل تعدى ذلك إلى المغرب. أين انتقل إلى المغرب الأقصى وتونس، فالتقى بعلمائها ودرس على يدهم. ففي فاس تتلمذ على يد الشيخ محمد بن بنيس (ت 1214 ه)، والشيخ حمدون (1332ه)، والشيخ عبد القادر بن شقرون (ت 1219ه). أما في تونس فقد درس فقه النوازل على يد الشيخ القاضي سيدي محمد بن قاسم المحجوب(ت1243ه)، وقرأ المذهب الحنفي على يد المفتي والإمام محمد بيرم.

لكن التنشئة العلمية والدينية لأبو راس الناصري كانت في موطنه الجزائر، حيث درس الفقه المالكي في معسكر ومازونة على يد شيوخ ومن أبرزهم: الشيخ محمد بن علي بن سحنون قاضي معسكر ووالد الشيخ أحمد بن سحنون صاحب كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، والشيخ عبد القادر المشرفي الذي تخرج على يده عدد من العلماء، والشيخ مصطفى بن هني والشيخ محمد بن ابراهيم والشيخ مصطفى بن يونس. كما قرأ الفرائض على يد الشيخ البدالي والقضاء والشهادات والأحكام على يد الشيخ محمد بن عبد القادر وتحقيق الصرف وبيوع الآجال على الشيخ أحمد بن نافلة.

وفي الحديث والتفسير والأصول، درس على يد الشيخ مصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر وعلى يد الشيخ عبد القادر بن السنوسي بن دحو، وعلى يد الشيخ محمد بن الصادق بن أفغول. ودرس علوم اللغة العربية والمنطلق على يد علماء من الراشدية وخرجها أمثال الشيخ السنوسي بن السنوسي شقيق عبد القادر. أما التصوف فقد درسه على يد علماء مازونة تتلمذوا على كبار المتصوفة مثل: موسى بن يحي المازوني صاحب ديباجة الافتخار في مناقب الأولياء والأخيار" والشيخ الصباغ القلعي صاحب " بستان الأزهار" وأبي عبد الله المغوفل صاحب " الفلك الكواكبي" وغيرهم .[7]

زيادة على ما سبق؛ كان لتولي أبو راس الناصري مناصب كالإفتاء والقضاء والتدريس لمدة 36 سنة[8]، أثر كبير في اطلاعه على الأمور السياسية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية، مما ساهم في إنتاجه للعديد من المؤلفات والمصنفات التي عكست أوضاع بلاده الجزائر عامة ومسقط رأسه معسكر على وجه الخصوص .

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

3. **مؤلفات أبوراس الناصري التاريخية:**

اشتهر أبو راس بمؤلفاته الكثيرة ومصنفاته العديدة، حيث كانت له مشاركة حسنة في مختلف الفنون والعلوم، منها التاريخ، الشعر وشروحه، علوم القرآن، الفقه، التوحيد، التصوف، الحديث، المذاهب، الأدب واللغة والنحو، علم الفلك، الأصول، الجغرافيا وغيرها. وحسب ما أشار إليه أبو راس في رحلته "فتح الإله ومنته" فإنّه ألف 63 مؤلفا[9].

وفيما يلي أهم الكتب التاريخية التي ألّفها أبو راس الناصري:

- ✓ ذيل روض القرطاس في ملوك بني وطاس[10]
- ✓ الزمردة الوردية في الملوك السعدية[11]
- ✓ الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية[12]
- ✓ فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته[13]
- ✓ نباهة الغمر من أنباء العمر بأبناء ملوك ورؤساء ومن أحسن منهم ومن أساء[14]
- ✓ درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة[15]
- ✓ المنى والسول من أول الخليقة إلى بعثة الرسول
- ✓ در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة
- ✓ المعالم الدالة على الفرق الضالة
- ✓ الوسائل إلى معرفة القبائل
- ✓ مروج الذهب في نبذة من النسب ومن انتمى إلى الشرف والذهب
- ✓ الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم

ثانيا: عصر أبوراس الناصري السياسي والثقافي

عاصر أبو راس الناصري أحداثا هامة وكثيرة أثرت على مزاجه وأحكامه، فعلى مستوى العالم الإسلامي فقد عاصر ظهور الدعوة الوهابية والحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م وصعود محمد علي باشا للحكم سنة 1805م، وبداية الإصلاح في الدولة العثمانية[16]. أما في القطر الجزائري فقد عاصر التطورات السياسية التي عاشتها البلاد لاسيما الناحية الغربية، إذ سقطت مدينة وهران مرة ثانية في يد الاسبان بعد أن تم تحريرها وفتحها سنة 1702م من قبل العثمانيين[17].

ومن جهة أخرى؛ عايش أبو راس التمردات والثورات التي تزعمتها بعض القبائل والطرق الصوفية مثل الثورة الدرقاوية ضد السلطة العثمانية الحاكمة والتي تسببت في مشاكل عديدة وقد مست بعض العلماء[18]. أما أبرز الأحداث التاريخية التي عاصرها أبو راس في بلاده هو فتح

ردمد ISSN 0000–0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 –0000

وهران الثاني سنة 1792م على يد محمد عثمان الكبير والذي تم من خلاله القضاء نهائيا على الاحتلال الاسباني للجزائر[19].

أما الحياة الثقافية في الجزائر والغرب الجزائري على وجه الخصوص فقد عرفت تذبذبا، إذ اتسمت بالخمود والجمود في القرنين 16 و17م، وذلك لانصراف الناس إلى الاشتغال بالتجارة والاهتمام بالشؤون الاقتصادية على العموم، ذلك أنّها كانت تضمن احتياجاتهم اليومية، على عكس التدريس الذي كان يعدّ محدود الدخل. بالإضافة إلى أنّ الثقافة المحلية كانت تقليدية حيث لا تتعدى _ على العموم_ العلوم الدينية واللغوية كالفقه والتفسير والحديث، أما العناية بعلم التاريخ فقد كانت مهملة ولم يكتب فيه إلاّ ما ندر، ولا تكاد المؤسسات التعليمية تخرج عن المساجد والمدارس والزاويا والكتاتيب، وجلّ هذه المراكز كانت تنحصر في تدريس العلوم الشرعية والصوفية، كما كانت تمول من الأوقاف. بالإضافة إلى افتقار التعليم إلى التشجيع المادي والمعنوي من قبل السلطة الحاكمة التي كانت توجه جهودها لتجسيد الأمن والاستقرار في ظل الاحتلال الاسباني [20].

لكن بالرّغم من تلك الوضعية المتدهورة نوعا ما فإنّ القرن 18م عرف نوعا من الانتعاش والازدهار خاصة في فترة حكم الباي محمد الكبير، وذلك راجع إلى اهتمام هذا الاخير ببناء المساجد أشهرها مسجد سيدي حسن، والمدارس أشهرها: المدرسة المحمدية[21]. بالإضافة إلى تشجيعه للتعليم في الجزائر وللعلماء من خلال تقريبهم إلى ديوانه ومجالسه خاصة في الأعياد والمناسبات الدينية، وتقديم مساعدات مادية ومعنوية لهم. فقد وجه العديد من العلماء إلى بعض المناصب في السلطة أمثال أحمد ابن هطال التلمساني الذي شغل عدّة مناصب سياسية في ظل هذا الباي فقد كان مستشاره وكاتبه الخاص ومبعوثه في المهام الخارجية. كما وضع الباي محمد الكبير مرتبات للعلماء والمدرسين يأخذونها من الاحباس بعد أن كانوا لا ينتفعون من المخزن بشيء[22].

من جهة أخرى؛ شجع الباي محمد الكبير حركة الكتابة والتأليف إذ أمر محمد بن رقية التلمساني الكتابة عن حملة أوريلي سنة 1775م، فجاء كتابه "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها الجنود الكفرة"، وكذلك الحال بالنسبة لأبي راس الناصري الذي طلب منه الباي محمد الكبير شرح منظومته الموسومة "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران على يد المنصور بالله الباي سيدي محمد بن عثمان" والتي نتجت عن فتح وهران الثاني سنة 1792م، ومدح الباي محمد بن عثمان الكبير، فكان "عجائب الأسفار ولطائف الاخبار" موضوع هذه الدراسة[23].

ثالثا: التعريف بكتاب "زهر الشماريخ في علم التاريخ" و"عجائب الأسفار ولطائف الاخبار"

1- دو افع التأليف

أ- إحياء التاريخ والدفاع عنه

في ظل تأليف أبو راس الناصري لـ"زهر الشماريخ" و"عجائب الأسفار" أولى عناية خاصة بالتاريخ، فهو في نظره علم يحوي العديد من تجارب الأمم والأفراد على مرّ الأزمان والتي تقدم لنا الكثير من العبر والعظات القيمة التي تدعو إلى التفكر في الحاضر والبحث في المستقبل من أجل إيجاد الحلول البديلة للمشاكل المختلفة التي تعترض المسلمين، خاصة في ظل صراعهم مع النصارى، كما أنّه علم يدعو إلى تهذيب الأخلاق وإبداء النصيحة[24].

وقد زاد اهتمام أبو راس بعلم التاريخ عندما لاحظ غيابه في عصره تدريسا وتأليفا وذلك بقوله: "...إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وشدت مصادره..." [25]، في الوقت الذي أولى فيه السلف الصالح من المسلمين اهتماما بالغا بوقائع الماضي. ومن هذا المنطلق؛ حمل أبو راس على عاتقه مهمة إحياء علم التاريخ وخدمته، والدّفاع عنه والرّد على كل من اعتبره "علما لا ينفع وجهالة لا تضر"[26] موظّفا أدلة نقلية وعقلية أساسها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو إلى الاعتبار من تجارب الأمم والأخذ من دروس الماضي[27].

ولم يكتف الناصري بذلك وحسب؛ بل أشار أيضا إلى ضرورة العناية بعلم التاريخ اقتداء بالصحابة الذين اهتموا بمعرفة مصائر الأمم الماضية، وحوادث الأزمان السابقة والأنساب[28] أمثال: أبو بكر الصديق وابن العباس وغيرهم، والتابعين كالزهري وابن سيرين، وعلماء المسلمين مثل: الطبري والبلاذري والمسعودي والدمشقي وغيرهم. ويضاف الى هذه القائمة أسماء أخرى من أمم عديدة مثل: المؤرخ الفارسي داهر، والإسرائيلي يوسف بن كريون، والرومي هرشيوش، والبربري سابق بن سليمان المطماطي ...الخ.

عرّف أبو راس التاريخ بأنّه علم يبحث في المسائل الفقهية كالإرث ونوعية ملكية الأرض ومعرفة نسب الأشراف والأنبياء والرسل، كما أنّه يبحث في المسائل والأمور التي توطد وحدة الجماعة وتحمي الامة من الفتن، وبالتالي فهو يربط علم الأنساب بالتاريخ ويكاد لا يفرق بينهما[29]. وهو من هذه الناحية يختلف في فهمه للتاريخ مع عبد الرحمن ابن خلدون الذي يرى أنّ التاريخ علم قائم بذاته وهو دراسة الأحداث من حيث أثرها الاجتماعي ومعناها الفلسفي، مؤكدا على أنّ دراسة التاريخ تستلزم تعليل الحوادث وربط بعضها ببعض وأنّه يجب أن يتناول وصف التطور في البيئة الإجتماعية، بكل ما فيها من تيارات سياسية وأحداث عسكرية وصناعة وتجارة ومن حركات اجتماعية عامة أو دينية أو فكرية[30]. ومن هنا كان مفهوم التاريخ

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

عند ابن خلدون شاملا دقيقا وواضحا، بينما مفهوم التاريخ عند أبو راس كان ضيقا ومحصورا في نقطة واحدة.

زيادة على ما سبق؛ فإنّ أبو راس سعى إلى تحري أخبار الأمم السابقة والمعاصرة له من أجل إحياء التراث التاريخي الإسلامي وإرساء أصول علم التاريخ في الفترة الاسلامية، وذلك بالاستعانة بالأدوات المنهجية لعصر الإسلام الأول عبر علم أنساب القبائل والأسر الحاكمة والأخبار والرحلات وغيرها. حيث استعرض تاريخ الاسلام، وتطرق إلى تاريخ المغرب الإسلامي. وعمل على تسجيل مفاخر المغرب الأوسط ومآثر الأئمة لتبقى ذكرى للأجيال تحفظ انتماءاتهم التاريخية والدينية. ولعلّ هذا الدافع نابع من عقيدة أبو راس الاسلامية، وتأجج العاطفة الدينية لديه تجاه الأمة الإسلامية التي تعدّ الأمة الجزائرية جزءا لا يتجزأ منها. أضف إلى ذلك؛ الشعور الإسلامي الحاد الذي يبعث روح الأمل في المجتمع الجزائري الذي عانى من ويلات الاحتلال الإسباني[31].

ب- الانتماء إلى الوطن

يملك أبو راس الناصري كأي شخص روحا وطنية متأصلة ومتجذرة اتجاه الوطن الذي ينتمي إليه، وقد نمى هذا الشعور أكثر عندما تعرّضت بلاده الجزائر إلى الحملات الاسبانية منذ مطلع القرن 16م، والتي كانت سببا في معاناة المجتمع الجزائري وفي كافة مجالات الحياة. ومن هذا المنطلق؛ دفعته غيرته على وطنه إلى رد كل المزاعم التي أراد المستعمر الإسباني أن يرسخها في الاذهان، ليثبت بالحجة الدامغة أن الجزائر بإمكانها التغلب على مثل هذا الاستعمار، وذلك من خلال تخليد ذكرى فتح وهران سنة 1792م الذي قضى نهائيا على التواجد الإسباني في الجزائر، وتسليط الضوء على شخصية الباي محمد الكبير ودورها الفعال في القيام بالعديد من الإنجازات لاسيما العلمية منها، وبذلك يمكن الرّد على كل من اعتبر أن كل بايات الجزائر لم يكن لهم باع في البلاد، فضلا عن إحياء مؤسسة الرباط[32].

زيادة على ذلك؛ فإنّ الغاية من التأليف عند أبو راس خاصة "عجائب الأسفار" هو تقديم بحث حول العديد من القضايا الاجتماعية والثقافية التي انجرت عن الاحداث التي شهدتها الجزائر في ظل التواجد العثماني والاحتلال الاسباني، حيث عقد مقارنة بين الحكم العثماني والاسباني، وغلب الكفة لصالح الاول من حيث إيجابيته على المجتمع الجزائري. ودليل ذلك أنّه أوضح في الكثير من المرات موقفه المؤيد والداعم للسلطة العثمانية بالجزائر مؤكدا على شرعية الدولة العثمانية، وأن على الجزائريين طاعتها، وعلى النخبة مساندتها، كونها تنطبق على التصور السياسي للإسلام الذي يقوم على الجهاد والعدل ومركزية الحكم[33]. فقد

ردمد 0000–0000 ISSN الإيداع القانوني: 0000– 0000 Depot Légal

استطاعت الدولة العثمانية تحرير سواحل وموانئ الجزائر التي احتلها الاسبان في الوقت الذي لم يتمكن فيه الزيانيون من ذلك.

في المقابل؛ قدّم لنا أبو راس من خلال "عجائب الأسفار" معلومات قيمة عن الاضطرابات والفتن السياسية التي اجتاحت البلاد إثر الاحتلال الاسباني لاسيما وهران والمرسى الكبير، والغارات الاسبانية على الاهالي والقبائل وما انجرى عليها من نهب وسلب، وتراجع في الوضع الاقتصادي، وبانفلات الأمن والاستقرار أيضا تأثرت الحياة العلمية بدورها مما ساهم في تفشي الجهل[34].

2. المحتوى والمضمون:

أ- زهر الشماريخ في علم التاريخ:

يعتبر هذا الأثر من بين أهم محاولات أبو راس الناصري في التأليف التاريخي، يوجد العديد من النسخ عنه منها بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم ك، وتوجد نسخة أخرى بمكتبة القصر الملكي بالرباط _ المغرب الأقصى_ تحت رقم 13.923 ك، بالإضافة إلى نسخة في زاوية الهامل ببوسعادة[35]. وقد قام مركز البحث في الأنثروبولجيا الاجتماعية والثقافية بوهران بدراسته وتحقيقه[36].

يصنّف الكتاب ضمن التاريخ العام، فهو عبارة عن تأليف تاريخي للأمم والشعوب منذ بدء الخليقة إلى البعثة المحمدية. كما يتضمن في طياته استقصاء لبعض أخبار المؤرخين وما صنّفوه، بالإضافة إلى موضوعات متنوعة تخص شمال إفريقيا وسكانها الامازيغ ومآثرهم خصوصا قبائل البربر وزناتة وعن الترك وملوك فرنسا وملوك الأندلس، فضلا عن اليونان اليونان وبعض قبائل العرب[37].

ومن خلال تصفحنا لكتاب "زهر الشماريخ في علم التاريخ" نلاحظ أنّه يحتوي على مقدمة والتي تتضمن البسملة والتصلية والحمدلة والشهادتين، كما نجد إشارة إلى ما اشتمل عليه الكتاب، وتوضيح لإشكالية موضوعه ويظهر ذلك من خلال قوله:" إنّه لا أجلب للاعتبار من استطلاع الاخبار ولا أبث في عضد الاغترار من وقائع الليل والنهار، وتحول الاحوال وتطور الأطوار وذكر الامم الماضيين الأقدمين إلى بعثة خاتم النبيين. ولا أذكر بعده في هذا التأليف المهذب المختار، إلاّ عن طريق الانجرار، لأنّ أخبار الأوائل، ومعرفة أجناس الناس والقبائل من أهم ما يعتنى به ويدخر"[38]، مشيدا بما جاء في القرآن الكريم من القصص.

ردمد ISSN 0000–0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 –0000

علاوة على ذلك؛ أوضح أبو راس الناصري دواعي اهتمامه بعلم التاريخ في "أن النسب والتاريخ ضعفا في هذا الزمان واندرسا"[39]، مبرزا اهتمام قدماء علماء الفرس والروم واليهود والبربر والمسلمين بعلم التاريخ. مع ذكره لأمهات المصادر التاريخية التي استقى منها معلومات كتابه (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ثم النسابين والمؤرخين من عرب وعجم).

زيادة على ما سبق؛ قسّم أبو راس المعلومات التي جمعها وعالجها في كتابه "زهر الشماريخ" ضمن 63 عنوانا منها 43 عنوانا مستقلا، تبدأ جميعها بعبارة الخبر. ومن بين العناوين التي حواها هذا الكتاب نذكر مايلي: الخبر عن العرب العاربة، الخبر عن ابراهيم، الخبر عن أولاد يعقوب، الخبر عن حكام بين إسرائيل، ولاية طالوت، أول ملوك بني إسرائيل، الخبر عن سليمان، الخبر عن دولة الأسباط، الخبر عن عمارة القدس، الخبر عن ملوك فرانسة، الخبر عن ملوك الاندلس.

ب- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار

الكتاب في الأصل هو شرح للمنظومة الشعرية الموسومة بـ: "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران على يد المنصور بالله الباي سيدي محمد بن عثمان"، التي نظمها أبو راس الناصري بمناسبة فتح وهران الثاني على يد الباي محمد بن عثمان الملقب بالكبير. وقدّمها للباي المذكور فاستحسنها ولكنّه طلب منه أن يشرحها شرحا يظهر لباب تراكيبها الضافية، ويوضح ما جاء فيها من اشارات تاريخية وأخبار في الأنساب ووقائع وأسماء[40].

يوجد مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار في 05 نسخ[41]، 03 منها في المكتبة الوطنية الجزائرية الأولى عدد أوراقها 165، والثانية عدد أوراقها 164، والنسخة الثالثة عدد أوراقها 144. أما النسخة الرابعة موجودة بمكتبة القاسمية بزاوية الهامل ولاية مسيلة عدد أوراقها 160 ورقة، والنسخة الخامسة موجودة بالمكتبة الوطنية بالحامة عدد أوراقها 172. وقد قام محمد غانم بترجمة المخطوط، الذي طبع في جزئين، ونشره مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران. ومن جهة أخرى؛ نال كتاب عجائب الأسفار اهتمام المؤرخين الأجانب فقامت المجلة الإفريقية بنشر فصول منه سنة 1878م باللغة الفرنسية على يد المؤرخ الفرنسي M.A Arnaud تحت عنوان voyages extraordinaires et nouvelles agréables، ثم استكمل نشره في سنة 1884م[42].

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

يحتوي كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" على مقدمة تحدث فيها أبو راس عن قيمة علم التاريخ وتاريخ التدوين عند المسلمين وغيرهم، وعن الدافع إلى التأليف وهو عودة وهران الى الجزائريين على يد الباي محمد الكبير، وعن الغرض من الكتاب وهو تسجيل فتح وهران ومدح من فتحها، وعن العنوان الذي اختاره للكتاب وهو عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ثم ذكر انه قسمه الى جزئين.

الكتاب مقسم إلى قسمين الأول من 1 إلى 100، والقسم الثاني من 100 إلى 631. أما القسم الاول فتطرق فيه أبو راس إلى أخبار المغرب العربي ومصر، إلى جانب تقصيه أنساب الأولين وأخبارهم وبالأخص قبائل وهران وما حدث لها أيام حكم النصارى. ويخص قبيلة مغراوة بحديث طويل فيذكر علماءها وصلحائها. كما يذكر علماء وهران، ويأتي بأخبار الجزائر في العصور الإسلامية وذكر القبائل التي استوطنتها. ويستطرد في الحديث عن تاريخ وهران في عهد الإمارات الإسلامية وكيف دخلها الاسبان والنزاع بين هؤلاء، ويركزّ هنا على الصراع الإسلامي الاسباني في الأندلس وشواطئ البحر الأبيض المتوسط[43].

إضافة إلى ما سبق؛ خصص أبو راس الناصري في هذا الجزء حيزا كبيرا للتحدث عن دخول العثمانيين إلى الجزائريين موضحا موقفه الإيجابي من ذلك الدخول، مع ذكره لتأسيس الدولة العثمانية ومراحلها التاريخية. كما استعرض دور خير الدين بربروس من أجل تحرير الموانئ والسواحل الجزائرية وبناء الدولة الجزائرية الحديثة. علاوة على ذلك؛ سجلّ أبو راس إنجازات بايات إقليم الغرب الجزائري الذين كافحوا من أجل استرداد وهران، وخصّ بالذكر محمد عثمان باشا الذي قام بالعديد من الإنجازات لعلّ أبرزها فتح وهران[44].

أما في الجزء الثاني فاستعرض أبو راس الناصري تعريفا للمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، كما أورد أخبارا عن بلاد السودان القديم والحياة التجارية بها، وبعض عادات وتقاليد أهل الطوارق وواحات الصحراء وأصل سكانها. ثم يعود للحديث عن تاريخ تلمسان وأمراء الثعالبة بسهل متيجة الذي عاش فيه. ويلم بأخبار رحلته الأولى للحج ويصف الاماكن التي تنقل فيها منذ سمع بالحرب بين الجزائريين والاسبان أي من جزيرة جربة. وينتقل إلى الحديث عن الأندلس ويذكر مدنها، ثم يفيض في الحديث عن فاتح وهران الباي محمد بن عثمان[45].

رابعا: منهج أبو راس الناصري في كتابة التاريخ من خلال مؤلفيه: "زهرة الشماريخ" و"عجائب الأسفار"

يتفق أغلب المؤرخين والباحثين الأكاديميين المعاصرين[46] أنّ أبا راس الناصري لم يستحدث منهجا خاصا به، إذ لم تخرج عن طريقته عن الطريقة القديمة في سرد الأخبار دون انتقاد المصادر ومقارنتها، لكنّه بالمقابل؛ استطاع توظيف ما استقاه عن المؤرخين السابقين وتكييفها مع البيئة الثقافية التي كان يعيش فيها والتي اتسمت بتغييب علم التاريخ، ويظهر ذلك جليّا في مؤلفيه "زهر الشماريخ في علم التاريخ" وكتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار". وفيما يلي أبرز خصائص الكتابة التاريخية عند أبو راس:

1- الاعتماد على المصادر التاريخية

كان لتنقل أبو راس الناصري بين المشرق والمغرب والتقائه بكبار العلماء والشيوخ هناك، الأثر البالغ في اطلاعه على أمهات الكتب التاريخية والاستفادة منها وبالتالي توظيفها في "زهر الشماريخ" و"عجائب الاسفار". ومن خلال قراءة متفحصة لهذين المؤلفين نلاحظ أنّ أبو راس اعتمد على ثلاثة أنواع من المصادر التاريخية[47]؛ الأولى تتمثل فيما عايشه وعاصره من أحداث ووقائع بنفسه في القرن 18م ومطلع القرن 19م مثل فتح وهران الثاني سنة 1792م، والإنجازات التي قام بها الباي محمد عثمان باشا، وينطبق هذا النوع على المعلومات التي سجلها أبو راس في "عجائب الأسفار" وليس في "زهر الشماريخ".

أما النوع الثاني من المصادر فيتمثل فيما تحصل عليه أبو راس من معلومات خلال لقاءاته ومناقشاته ومناظراته مع العلماء من ذوي الصلة المباشرة بالحدث، أو شهود العيان للوقائع، وأهل الخبرة والاختصاص. أما النوع الثالث؛ فهي المصادر التي تم النقل عنها، والتي ألّفها علماء عاشوا قبله غالبا أو عاصرهم، فاستعان بهم في تآليفه لمصنفاته.

أما عن طريقة أبو راس الناصري في إحالة القراء على المصادر فهي متعدّدة ومتنوعة[48]، حيث اكتفى بذكر المؤلف فقط، كقوله: قال ابن خلدون، وفي ابن خلكان، كما في ابن جرير الطبري، قال السخاوي، عن ابن حزم وغيرها. وأحيانا يذكر الكتاب دون مؤلفه مثلا: قال صاحب اللباب، في حواش الكبرى، وفي نفح الطيب، كما في القرطاس الكبير، وفي المدارك. وتارة يورد المؤلف وكتابه معا كقوله أنظر حسن المحاضرة للسيوطي، أنظر كتاب الشفا للقاضي عياض وشارحه الخفاجي، قال السيوطي في الحواشي الكبرى. وفيما يلي أبرز المصادر التي اعتمد عليها أبو راس الناصري في "زهر الشماريخ" و"عجائب الأسفار" :

- ✓ فتوح البلدان لأحمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت 892م)
- ✓ تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 922م)
- ✓ مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 956م)
- ✓ جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (ت 1064م)
- ✓ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع (ت 1326م)
- ✓ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن ابن خلدون (ت 1406م)
- ✓ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي (ت 1505م)
- ✓ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر لسان الدين ابن الخطيب لأحمد بن محمد بن يحي أبو العباس المقري (ت 1631م)
- ✓ التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمحمد بن ميمون الزواوي الجزائري (ت 1711م)
- ✓ بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الإعراب كبني عامر لعبد القادر المشرفي (ت 1778م)

2- الاقتداء بمنهج المؤرخين العرب المسلمين المتقدمين والمعاصرين

يتضح من خلال مؤلفي أبو راس الناصري "زهر الشماريخ" و"عجائب الأسفار" أنّه سار على خطى المؤرخين المسلمين المشارقة والمغاربة الذين سبقوه بإتباعه منهج السرد التاريخي الذي يقوم على الرواية والإخبار[49]. ففي الأحداث التي شاهدها بنفسه أو التي سمع عنها مثل فتح وهران والحملات الأوروبية على الجزائر يتبع أسلوب الإخبار، أما عندما يؤرخ للعهود السابقة مثل تاريخ الأنبياء وتاريخ الأندلس أو القبائل العربية والبربرية فإنّه يعتمد على الرواية والنقول الصحيحة. وقد تقاطع النص التاريخي في هذين المؤلفين بعلم الأنساب والتراجم، وهي الأجناس التاريخية التي ميّزت المدرسة التاريخية الإسلامية التقليدية منذ وقت مبكر.

وحين يكتب أبو راس عن العلماء والأولياء الصالحين يتسع مجال التاريخ إلى الحياة الاجتماعية والثقافية فتحظى بعض القضايا المتصلة بها بعناية محدودة، فتظهر هنا المسائل الفقهية والدينية التي تعتمد بالدرجة الاولى على الشرع. فالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فيها من الأحداث التاريخية التي لم يتمكن الإخباريون من تقديمه للأجيال اللاحقة. فالأدلة الشرعية تقدّم اللب، بينما يكتفي الإخباريون بالقشور[50]. ومن هذا المنطلق استشهد

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

أبو راس بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ بل وحتى أقوال الصحابة والتابعين وكبار العلماء. وهذا ما نجده غالبا في التآليف السابقة لمؤرخي الفترة الإسلامية مثل اليعقوبي والمسعودي والبلاذري والطبري وغيرهم.

زيادة على ذلك؛ أوجد أبو راس في مؤلفيه نوعا من التناسق والانسجام والتآلف بين الأدب والتاريخ اقتداء بالسابقين[51]، ويظهر ذلك بداية بالعناوين التي اختارها لمؤلفيه والتي نجد لها تشابها كبيرا بمؤلفات ومصنفات بعض المؤرخين الذين سبقوه أو الذين عاصروه فكتاب "زهر الشماريخ في علم التاريخ" هو شبيه بكتاب "الشماريخ في علم التاريخ" لجلال الدين السيوطي، و"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" شبيه بكتاب "عجائب الآثار في التراجم والآثار" لعبد الرحمن الجبرتي. وضمن نفس السياق نلاحظ أنّ هذه العناوين جاءت على أساس السجع الذي اشتهرت به المصادر التاريخية الاسلامية سابقا، يضاف إلى ذلك ما تضمنته مؤلفات أبي راس من قصائد شعرية ومحسنات بديعية وألفاظ لغوية كثيرة.

ومن صور اقتداء أبو راس الناصري بمن سبقه من المؤرخين المسلمين مثل: المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجواهر"، واليعقوبي في كتابه "تاريخ البلدان" هو اعتماده على منهج الموضوعات، وهو التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام وهو ما يطلق عليه بالتاريخ العام، وإما للتاريخ المدن والأقاليم وهو ما يطلق عليه بالتاريخ المحلي. فكتاب "زهر الشماريخ" يصنّف ضمن التاريخ العام لما احتوى من موضوعات تخص تاريخ الأمم والرسل والملوك قبل وبعد الإسلام، وبعضها الآخر يشمل القبائل العربية والبربرية وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية[52]. أما "عجائب الأسفار" فيصنف ضمن تاريخ المدن لاحتوائه على معلومات دقيقة ومفصلة عن الجزائر موطن أبو راس، وبالتحديد عن مدينة وهران بالغرب الجزائري وتاريخها وحكامها وعلمائها ووصف أماكنها ومساجدها ومدارسها وخططها[53].

3- الكشف عن الأخطاء وتصويبها

صحيح أنّ أبو راس الناصري اعتمد على السرد التاريخي الذي يكتفي بالأخبار والرواية في كتابيه "زهر الشماريخ" و"عجائب الأسفار"، لكن بالرغم من ذلك إلاّ أنّه كان يملك نظرة ناقدة آراء بعض المؤرخين وأقوالهم، فلم يكن يصدق أي خبر دون أن درس وفحص واستقراء[54]. كما هو الحال حينما لم يصدق ابن خلدون في إحصائه لعدد عساكر بني إسرائيل الذين قتلهم الطاعون والذي قدّرهم بأربعة وعشرين ألف، في المقابل؛ أيّد الشبراملسي الذي رفع عددهم إلى سبعين ألف، واعتبره هو الأصح. وكذلك لم يوافق الجلالين في أن بختنصر هو الذي وصفه الله تعالى في القرآن الكريم بالبأس الشديد.

ردمد ISSN 0000-0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 -0000

علاوة على ذلك؛ كشف أبو راس عن المغالطات والافتراءات التي وقع فيها بعض العلماء خاصة تلك التي رأى بأنّها لا تتفق مع العقل والمنطق، واعتبرها خرافات، وتبرأ منها بدليل الآيات القرآنية. في المقابل؛ حاول تصحيح تلك الأخطاء _ بدون الإساءة إلى الرواة والمؤرخين _ مستندا في ذلك بالدليل القاطع في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، بالإضافة إلى أقوال بعض المؤرخين الموثوقين[55]كشهادة معاوية، وسعد بن معاذ، وعلي بن أبي طالب، وأنّه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أسقط الجزية عن أهل خيبر، مستدلا على ذلك بقول الحافظ أبي بكر الخطيب، إن معاوية أسلم بعد الفتح، وخيبر فتحت سنة سبع وسعد بن معاذ مات سنة أربع.

ومن الأمثلة أيضا عن نقده للأخبار وتمحيصها بتحكيم العقل والمنطق كثيرة، منها ترجيحه قول ابن عبد ربه واستحسانه على قول ابن خلدون، في أن يقطن وقحطان من العرب المستعربة، وأيّد ابن خلدون في قوله أن عابر هو الذي تنسب إليه اللغة العبرانية، وأن أوّلا من تكلّم بها إسحاق. كما أيّد في موضع آخر من المخطوط أقوال كل من ابن خلدون والقسطلاني والبخاري، بأن إرم المذكورة في القرآن الكريم ليست مدينة، وأن هذا من خرافات القصاص، ونقله ضعفة المفسرين، وإرم المذكورة في القرآن إنما المراد بها القبيلة لا البلد. وردّ على ما نقله الإخباريون أن سابرورا دخل أرض الروم متنكرا، فقبضوا عليه وحبسوه... وحملوه معهد في جلد ثور، بأن ذلك من أساطير الخرافات التي تشهد العادة بكذبها...[56].

من جهة أخرى؛ كشف أبو راس عن الكثير من الآراء الخلافية بين العلماء والمؤرخين، حيث كان يستعرض المسألة التي اختلف فيها بين جماهير العلماء، ثم يرّد عليها بآرائه التي كان يخضعها للعقل والمنطلق بعبارات "قلت" التي تكررت في المخطوط 61 مرة أو عبارة تنبيه التي كررها 27 مرة، فضلا عن عبارتي "أعلم" و"تتمة". وبعد ذلك يورد أقوال المؤرخين الذين يتفق معهم[57].

وكان أبو راس دائما يناقش وضعية علم التاريخ في زمانه ويطرح قضايا فكرية كالجدال بين السيوطي وبن عبد الكريم المغيلي، كما نجده يربط ويقارن الاحداث كربطه لنقض الاسبان عهدهم للمسلمين لما احتلوا وهران للمرة الأولى بنقضهم العهد لأهل ملقة. كما فاضل بين المدن الأندلسية وعلل الاحداث كإرجاعه لهزيمة المسلمين في معركة قصر العقاب بالأندلس إلى الاختلاف رؤساءه وسقوط اشبيلية لعامل الخيانة. كما أرجع غلبة النصارى على ثغور المغرب الأقصى إلى ضعف بين وطاس[58].

4- تثبيت الوقائع التاريخية زمانا ومكانا

تمت الإشارة سابقا في هذه الدراسة إلى أنّ "زهر الشماريخ" و"عجائب الأسفار" يصنفان في إطار التاريخ العام والتاريخ المحلي واللذان يندرجان ضمن المنهج الموضوعي، لكنّ ذلك لم يمنع من أنّ الكتابة التاريخية في هذين المؤلفين لم تخضعا لمنهج الحوليات لكن بطريقة أخرى مغايرة لما كان متداولا سابقا عند العلماء المسلمين أو حتى بعض معاصريه من المشرق. حيث لم يؤرخ أبو راس الناصري الوقائع سواء في الفترة الإسلامية أو الفترة الحديثة (العثمانية) وفقا للسنوات التي جرى فيها مثلما فعل سابقا محمد بن جرير الطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" وعبد الرحمن الجبرتي في كتابه "عجائب الأثار في التراجم والأخبار". لكنّه اعتمد التسلسل الزمني للأحداث، وضبطها زمنيا ومكانيا[59]. فنجده على سبيل المثال: قد ربط تأريخه للماضي بالمعالم الآتية: العهود؛ بعد الطوفان؛ مولد عيسى عليه السلام؛ عام الذبح وعام بطلان الذبح؛ عام الفيل؛ المعارك الكبرى؛ الهجرة النبوية.

من جهة أخرى؛ جاءت موضوعات الكتابين وفقا لتسلسل زمني دقيق، فقد احترم فيها أبو راس ذلك التدرج التاريخي للأحداث التي جرت عبر الازمان. ففي "زهر الشماريخ" بدأ من إبراهيم عليه السلام إلى البعثة النبوية الشريفة وملوك الروم والفرس الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي عجائب الأسفار أيضا؛ استعمل أبو راس الحوليات عندما أرّخ لفتح وهران، إذ اعتمد على السنة في تنظيم الحوادث التاريخية، كما احترم التسلسل الزمني عند استعراضه لتاريخ المغرب الأوسط والدويلات التي حكمتها[60].

خاتمة

يعدّ أبو راس الناصري من أهم العلماء الذين أنجبتهم الجزائر خلال القرن 18م وذاع صيتهم في كل أرجاء البلاد، ومن الذين تركوا بصماتهم واضحة في الفترة العثمانية. فقد أسهم في تفعيل الحركة الثقافية في الجزائر من خلال كتاباته التاريخية التي ظلّت إلى يومنا هذا تكتسي أهمية بالغة في الدراسات التاريخية الجزائرية الخاصة بالفترة العثمانية إلى غاية عصرنا هذا، فقد عرفت كتاباته رواجا كبيرا بين الباحثين الأكاديميين والمؤرخين فراح كل في مجال تخصصه يغوص في أعماق مخطوطاته، فيدرسها ويفحصها ويحللّها ويناقشه، وهذا ما ينطبق على كتاب "زهر الشماريخ في علم التاريخ" و"عجائب الأسفار ولطائف الاخبار". وعليه نخلص إلى أهم النتائج الآتية:

- يعتبر كتاب "زهر الشماريخ في علم التاريخ" و"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" من أبرز إسهامات أبو راس الناصري في الكتابة التاريخية الجزائرية التي ميّزت الفترة العثمانية؛ ذلك لأنّها استهدفت مهمة إحياء التاريخ والدّفاع عنه بعد أن كان مهمشا خلال القرنين 16 و17م. بالإضافة إلى إحياء منهج المؤرخين المسلمين السابقين القائم على السرد التاريخي الذي يستند على الروايات والأخبار، ومنهج الموضوعات والحوليات، فضلا عن الكشف عن الأغلاط التي وقع فيها العلماء ومحاولة تصحيحها.
- يحتوي المؤلفان المشار إليهما أعلاه على زخم كبير من المصادر التاريخية خاصة تلك المتعلّقة بالتاريخ الاسلامي، مما يكشف عن جوانب مهمة من حياة أبو راس الناصري ومكانته العلمية وتوجهه التاريخي وذوقه الأدبي ومستواه المعرفي، فهو رجل علم وثقافة موسوعية مكنّته من الإمساك بزمام البحث التاريخي.
- يشكل "زهر الشماريخ" و"عجائب الأسفار" المرآة الصادقة التي تعكس روح العصر الذي عاش فيه أبو راس الناصري والوضع الداخلي وحركية المجتمع، فضلا عن كونها تمثل الذاكرة الحية التي تختزن قضايا المجتمع الجزائري الثقافية والاجتماعية ومتطلباته الاقتصادية خلال العهد العثماني؛ وبالتالي هما مصدر محلي لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة التاريخ الجزائري في العهد العثماني.
- يعدّ هذين المؤلفين إضافة قيّمة للرصيد التاريخي الجزائري وإثراء للمعرفة التاريخية، ورغم الدراسات الاكاديمية التي أنجزها الباحثون الأكاديميون والمؤرخون اليوم حولهما، وفي ظل تطور تقنيات البحث العلمي والمنهج التاريخي، لا تزال بحاجة إلى قراءة جديدة ومراجعة علمية لضبط نصوصهما وتحليل مضمونهما ودراسة الظروف التي كتبا فيها.

ردمد ISSN 0000–0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 –0000

الهوامش:

(1) أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تحقيق وضبط وتعليق: محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 25.

(2) المصدر نفسه، ص 19.

(3) محمد غانم، "أبو راس المعسكري مسار عالم جزائري وإنتاجه الفكري"، مجلة الحضارة الاسلامية، مج 09، ع 12، 2005م، ص 171 _ 202.

(4) أبو راس الناصري، فتح الإله ...، ص 20_ 25.

(5) سي يوسف محمد، "دراسة مخطوط عجائب الأسفار لأبي راس"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، 1986م، ص 134_ 155.

(6) ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص 461.

(7) للإطلاع على شيوخ أبو راس الناصري في الجزائر ومصر والحجاز والمغرب وتونس أنظر: أبو راس الناصري، فتح الإله...، ص 41_ 89.

(8) سي يوسف محمد، مرجع سابق، ص 136.

(9) للتوسع في هذه المؤلفات أنظر: أبو راس الناصري، فتح الإله ...، ص 179_ 184.

(10) هو كتاب عالج فيه صاحبه تاريخ المغرب من القرن الثامن إلى أوائل القرن الثالث عشر هجري، وهو كتاب هام لم يصل إلينا سوى اسمه.

(11) يتطرق فيه أبو راس الناصري إلى تاريخ الملوك السعديين بالمغرب والفترة التي يتناولها قليلة المصادر وهو غير متوفر.

(12) خصصه أبو راس الناصري لمدح محمد باي الكبير وتسجيل مآثره الحربية في فتح وهران وافتكاكها من يد الإسبان أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، فهو يتناول أحداثا كثيرة بالشرح والتعليق، ويؤرخ لوقائع مختلفة عن تاريخ القطر الجزائري عامة.

(13) هو كتاب يقع في خمسة أبواب قام بتحقيقه الدكتور محمد بن عبد الكريم، وهو يقدم لنا حياة أبو راس نفسه، وتحدث فيه المؤلف عن أهله وبيئته وشيوخه وعلومه وأسفاره ومن لقيهم من علماء المغرب والمشرق وما سئل عنه من المسائل العلمية وإجاباته على ذلك، وأخيرا يذكر مؤلفاته في كل فرع من فروع المعرفة الشائعة في وقته، قام بتأليف سنة 1233هـ، وهو كتب يحتوي على معلومات هامة عن علماء العصر والعلاقات السياسية بين الدول العربية والمستوى العلمي السائد آنذاك وبعض أخبار المذاهب الدينية.

ردمد ISSN 0000–0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 –0000

(14) يتحدث فيه الناصري عن التاريخ السياسي لبعض البلدان التي يرجح أن تكون عربية، وقد حذا حذو الشيخ أحمد بن علي بن محمد علي بن محمود بن أحمد الحجار العسقلاني صاحب كتاب " أنباء الغمر في أبناء العمر"، وهذا المخطوط هو في ثلاث أجزاء يتناول التاريخ السياسي والثقافي لمصر والشام، وهو متوفر في المكتبة الوطنية الجزائرية 1597، 1599، 1600.

(15) سجل فيه صاحبه الحروب التي دارت بين العثمانيين والدرقاويين في أوائل القرن التاسع عشر، ولكنه في حكم المفقود.

(16) ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 461.

(17) من أهم المصادر التاريخية الجزائرية التي أرّخت لفتح وهران الأول سنة 1702م: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، لمحمد بن ميمون الجزائري.

(18) خصص أبو راس الناصري لإبراز موقفه المعارض للثورة الدرقاوية كتابا بعنوان: درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة.

(19) من المصادر التاريخية التي عالجت فتح وهران الثاني سنة 1792م على غرار أبو راس الناصري:

_ أرجوزة الحلفاوي التلمساني في فتح مدينة وهران لعبد الرحمن الجامعي الفاسي

_ طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن 13م للمسلمين مع الكفار للعربي المشرفي الغريسي

_ بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر لعبد القادر بن عبد الله المشرفي.

للتوسع أكثر في هذه الكتابات وغيرها أنظر: بن عمر حمدادو، "المصادر التاريخية العربية بين تخليد فتح وهران والمرسى الكبير والطموح لاسترجاع الأندلس دراسة نماذج"، مجلة عصور الجديدة، مج 07، ع 26، أفريل 2017م، ص 260_ 274. وأنظر أيضا: بن عمر بلبروات، "فتح وهران والمرسى الكبير في الكتابات التاريخية لعام 1792م"، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 09، ع 12، ص 269 _ 278.

(20) للتوسع في مميزات الحياة الثقافية أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 01 و02، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

(21) للتوسع أنظر: بوعبد الله بلجوزي، "المدارس التعليمية في عهد الباي محمد الكبير دراسة تاريخية أثرية"، مجلة القرطاس، ع 06، 2017م، ص 192 _ 204.

[22] محمد شرويك، "جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعلم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع 08، جوان 2018م، ص _ 584.

[23] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 462.

[24] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق وتقديم: محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران 2005م.

[25] المصدر نفسه، ص 53.

[26] المصدر نفسه، ص 53.

[27] المصدر نفسه، ص 51 _ 52.

[28] المصدر نفسه، ص 52 _ 53.

[29] المصدر نفسه، ص 37.

(30) أنظر تفسير ابن خلدون للتاريخ: زينب الخضيري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة 1989م.

[31] أبو القاسم سعد الله، "مؤرخ جزائري معاصر للجبرتي: أبو راس الناصر"، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 01، دار البصائر، الجزائر 2007م، ص 100. وأنظر أيضا: رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية، ط 1، دار الملكية، الجزائر 2007م، ص 151.

[32] أبو راس الناصري، عجائب ...، ص 76 _ 104، 125_ 136.

[33] محمد شاطو، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02، الجزائر 2005 _ 2006م، ص 35.

[34] إبراهيم عبو، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10 _ 13 هـ/ 16 _ 19م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر 2017_ 2018م، ص 203.

[35] عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني 1519 _ 1830م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر 2015 _ 2016م، ص 258.

[36] أبو راس الناصري، زهر الشماريخ في علم التاريخ دراسة وتحقيق، تنسيق: بن عمر حمدادو، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران 2019م.

(37) عبد القادر المرجاني، "المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني أبو راس الناصر المعسكري"، مجلة كان التاريخية، ع 43، القاهرة 2019م، ص 47 _ 53.

(38) أبو راس الناصري، زهر الشماريخ ...، ص 26.

(39) المصدر نفسه، ص 27.

(40) أبو القاسم سعد الله، مؤرخ جزائري ...، مرجع سابق، ص 95 _ 96.

(41) رقية شارف، مرجع سابق، ص 81.

(42) Arnold, Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed Abou Ras Ben Ahmed Ben Abd El_ Kader EL _NASRI , Revue Africaine, V 22, Anné 1878, P 434 _ 443 ; Ibid, V 28, Anné 1884, p 301 _ 317.

(43) أبو القاسم سعد الله، مؤرخ جزائري ...، مرجع سابق، ص 99.

(44) ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 463_ 464.

(45) أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه.

(46) محمد دادة، "التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني خصائصه وموضوعاته"، مجلة عصور الجديدة، ع 3 _ 4، الجزائر 2012م، ص 119 _ 129. وأنظر أيضا: محمد غانم، مرجع سابق، ص 194 _ 195. وأيضا: عبد القادر بكاري، "الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجا"، مجلة الخلدونية، مج 06، ع 01، الجزائر 2013م، ص 117 _ 130.

(47) رقية شارف، مرجع سابق، ص 155 _ 161 وأيضا: عبد القادر بكاري، منهج الكتابة ...، مرجع سابق، ص 272، 245 _ 276.

(48) بن داهة عدة، "ملاحظات نقدية حول مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ لأبي راس الناصري"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 09، ع 10، جامعة وهران 2014م، ص 49 _ 70.

(49) محمد غانم، مرجع سابق، ص 194 _ 195.

(50) أبو راس الناصري، زهر الشماريخ ...، ص 26.

(51) عبد القادر بكاري، التدوين ...، مرجع سابق، ص 128.

(52) أبو راس الناصري، المصدر نفسه، ص 19.

(53) عبد القادر بكاري، المصدر نفسه، ص 125.

(54) بن داهة عدة، مرجع سابق، ص 54 _ 58.

(55) المرجع نفسه، ص 56 _ 57.

ردمد ISSN 0000–0000 الإيداع القانوني: Depot Légal 0000 –0000

(56) المرجع نفسه، ص 55 _ 57.

(57) المرجع نفسه، ص 55.

(58) رقية شارف، مرجع سابق، ص 142.

(59) بن داهة عدة، مرجع سابق، ص 142.

(60) محمد غانم، مرجع السابق، ص 195.

قائمة المصادروالمراجع:

1. الناصري أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تحقيق وضبط وتعليق: محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
2. الناصري أبو راس، زهر الشماريخ في علم التاريخ دراسة وتحقيق، تنسيق: بن عمر حمدادو، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران 2019م.
3. الناصري أبو راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق وتقديم: محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران 2005م.

المراجع العربية:

1. بكاري عبد القادر، "الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجا"، مجلة الخلدونية، مج 06، ع 01، الجزائر 2013م.
2. بكاري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني 1519 _ 1830م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر 2015 _ 2016م.
3. بلبروات بن عمر، "فتح وهران والمرسى الكبير في الكتابات التاريخية لعام 1792م"، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 09، ع 12 بلجوزي بوعبد الله، "المدارس التعليمية في عهد الباي محمد الكبير دراسة تاريخية أثرية"، مجلة القرطاس، ع 06، 2017م.
4. حمدادو بن عمر، "المصادر التاريخية العربية بين تخليد فتح وهران والمرسى الكبير والطموح لاسترجاع الأندلس دراسة نماذج"، مجلة عصور الجديدة، مج 07، ع 26، أفريل 2017م.
5. الخضيري زينب، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة 1989م.
6. دادة محمد، "التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني خصائصه وموضوعاته"، مجلة عصور الجديدة، ع 3 _ 4، الجزائر 2012م سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 01 و02، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

7. سعد الله أبو القاسم، "مؤرخ جزائري معاصر للجبرتي: أبو راس الناصر"، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 01، دار البصائر، الجزائر 2007م.
8. سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.
9. شارف رقية، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية، ط 1، دار الملكية، الجزائر 2007م.
10. شاطو محمد، نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02، الجزائر 2005 _ 2006م.
11. شرويك محمد، "جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعلم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والأجنبية"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع 08، جوان 2018م.
12. عبو ابراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10 _ 13 هـ/ 16 _ 19م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر 2017_ 2018م.
13. عدة بن داهة، "ملاحظات نقدية حول مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ لأبي راس الناصري"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 09، ع 10، جامعة وهران 2014م.
14. غانم محمد، "أبو راس المعسكري مسار عالم جزائري وإنتاجه الفكري"، مجلة الحضارة الاسلامية، مج 09، ع 12، 2005م.
15. محمد سي يوسف، "دراسة مخطوط عجائب الأسفار لأبي راس"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، 1986م.
16. المرجاني عبد القادر، "المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني أبو راس الناصر المعسكري"، مجلة كان التاريخية، ع 43، القاهرة 2019م.

المراجع الأجنبية:

1. Arnold, Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed Abou Ras Ben Ahmed Ben Abd El_ Kader EL _NASRI , Revue Africaine, V 22, Anné 1878, P 434 _ 443 ; Ibid, V 28, Anné 1884, p 301 _ 317.